الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف –المسيلة–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الجالية الأوربية في مدينة حلب وأثرها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي القرن 16-19م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة:

- مزهود مباركة

إشراف الدكتور:

- مصطفى عبيد

السنة الجامعية : 1436هـ-1437هـ/ 2015-2016م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف –المسيلة–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الجالية الأوربية في مدينة حلب وأثرها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي

القرن 16-19م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة:

- مزهود مباركة

الإسم واللقب	الرتبة	الصفة
د. صالح لميش	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
د. مصطفى عبيد	أستاذ محاضر –أ–	مشرفا ومقررا
د. مرزوق بتة	أستاذ محاضر –ب–	مناقشا

السنة الجامعية : 1436هـ-1437هـ/ 2015-2016م

شكر وعرفان

الحمد والشكر والثناء لله العلي العظيم

أشكر الله عز وجلّ الذي وفقني لإنجاز هذا العمل وأعطاني الجهد والقدرة للوصول لدرجة ومبتغى كللته سنوات من العمل

يسرني أن أتقدم بخالص الشكر ووافر الامتنان على ما بذلت من جهد وتحملت من مشقة جعلها الله في موازين حسناتك أستاذي "عبيد مصطفى"

كما أتقدم بجزيل الشكر لكل الأساتذة بقسم التاريخ الذين لم يبخلو علي بنصائحهم وتوجيهاتهم

مقدمة:

تميز الحكم العثماني للبلاد العربية بسمات بارزة، فالبعض يراه حكما جائرا وظالما سعى إلى استنزاف خيرات البلاد، والإستفادة من ثرواتها المادية والبشرية وتوسيع كيان الإمبراطورية العثمانية بعد أن ضمت معظم بلاد المغرب العربي، واتجهت نحو المشرق لاستكمال بسط نفوذها على كامل البلاد العربية. والبعض الآخر يدافع عنه ويراه حكما مميزا وأنّ العرب في مرحلة الحكم العثماني، نعموا ببعض الاستقرار من أي هجوم أجنبي حيث استطاع العثمانيون الوقوف في وجه أطماع الدولة الصفوية شرقا، ويجابهوا التوسع الاستعماري البرتغالي الطامع في بعض الأرجاء العربية، ولولا هذه القوة الإسلامية التي تبنت الدفاع عن الأمة العربية لتغير وجه الأمة العربية ولا سيما بلاد الشام.

لقد شكلت هذه المنطقة الممتدة من جبال طوروس شمالا حتى شمال سيناء جنوبا ومن غرب العراق شرقا إلى ساحل البحر المتوسط غربا أهمية عبر المراحل التاريخية خاصة مرحلة الحكم العثماني لهذه المنطقة التي تميزت بتنظيمات إدارية وعسكرية خاصة من طرف السلطة العثمانية لإحكام القبضة على بلاد الشام، وحسن تسييرها داخليا دون إحداث خلل على مستوى المجتمع والعادات والتقاليد والعقائد، ولقد تبين لأهل الشام أن الهدف الرئيسي من الحكم العثماني هو مصلحة السلطان ومن يليه من الحكام وأن السلطة العثمانية لم تفكر في مصلحة الشعوب المحكومة التي تضم قوميات ولغات ومذاهب وديانات متعددة، وأن بلاد الشام مفضلة عندهم لكثرة خيراتها وهدوئها ودينها.

في إطار العلاقات العثمانية الأوربية، فقد كان لطبيعة الحكم العثماني للبلاد والسياسة التي انتهجتها أثرا على هذه العلاقات في شتى المجالات، حيث فتحت الدولة العثمانية المجال أمام تدفق جاليات الدول الأوربية، وأزالت العراقيل وألغت القيود.

وقد تمتعت هذه الأخيرة في ظل الحكم العثماني لبلاد الشام بالحرية في مختلف الميادين كان سببها منح بعض الامتيازات والمعاهدات من طرف السلطة العثمانية والباب العالي.

وقد توافد الأوربيون إلى بلاد الشام عامة وولاية حلب خاصة، التي تعتبر من أبرز وأهم الولايات إذ تعتبر مدينة حلب من أسبق المدن إلى التأثر بالحضارة الغربية وتواجد الجاليات الأوربية بكثرة في هذه المدينة قد جعلها أكثر انفتاحا عليهم وتسامحا من أي مدينة فكان توافد هذه الجاليات تحت ستار الحماية والحرية الممنوحة لهم بموجب المعاهدات بغرض ممارسة التجارة من جهة ومن جهة أخرى العمل على التنظير ونشر الثقافة الغربية للتمهيد وفتح الطريق أمام التغلغل الاستعماري.

دوافع اختيار الموضوع:

من دوافع اختياري لهذا الموضوع:

- كشف وإزالة اللبس عن بعض الجوانب التاريخية للموضوع.
- إثراء رصيد المكتبة بدراسات وبحوث جديدة ومتخصصة تخدم الدارسين.
- ميلي الشخصي لدراسة منطقة بلاد الشام خاصة الفترة الحديثة والمعاصرة.

ومن هنا تظهر الإشكالية:

إشكالية الموضوع:

ولقد حاولت ضبط الإشكالية في القضية التالية:

مميزات حياة الجالية الأوربية في بلاد الشام وبالخصوص ولاية حلب والسياسة العثمانية المنتهجة اتجاههم وكيفية تغلغل هذه الجالية في المجتمع والآثار المختلفة لها فيه.

وذلك وفق التساؤلات التالية:

- ما هي أهم الجاليات الأوربية الوافدة إلى ولاية حلب؟
- ما هي أبرز نشاطاتها؟
- كيف كانت حياتهم العامة وتعايشهم مع سكان المنطقة؟
- هل كان لتواجدهم على أراضي حلب أثار على مناحي الحياة المختلفة؟

وفيم تمثلت أبرز سماتها ومخلفاتها؟

- **خطة الموضوع:**

للإجابة عن هذه الإشكاليات قسمت عملي إلى:

مقدمة ومدخل تحت عنوان: بلاد الشام تحت الحكم العثماني، وفصلين: الفصل الأول بعنوان: الحياة العامة للجاليات الأوربية الوافدة إلى مدينة حلب، اندرجت تحته أربع مباحث: المبحث الأول بعنوان: الحياة الاجتماعية للجاليات والمبحث الثاني عنوانه: الحياة الإدارية للجاليات وأمّا المبحث الثالث فأخذ عنوان: الحياة الاقتصادية للجاليات والمبحث الأخير: الحياة الدينية والثقافية للجاليات.

أمّا الفصل الثاني فجاء تحت عنوان: آثار الجاليات الأوربية الوافدة إلى مدينة حلب وانضوت تحته ثلاثة مباحث. المبحث الأوّل بعنوان: الآثار الاجتماعية للجاليات والمبحث الثاني بعنوان: الآثار الاقتصادية للجاليات، والمبحث الثالث والأخير بعنوان الآثار الدينية والثقافية للجاليات وخاتمة.

- **المنهج المستخدم:**

اعتمدت في عملي هذا على المنهج التاريخي الوصفي في وصف موقع الشام وأهميتها الاستراتيجية، ووصف طبيعة الحكم العثماني للمنطقة، وأهم سمات الحياة العامة

للجاليات والمنهج التاريخي التحليلي لدراسة وتحليل مختلف السياسات المنتهجة للدولة العثمانية اتجاه الجاليات وكيفية اندماج هذه الأخيرة وسط مجتمع حلب.

نقد المصادر والمراجع:

ساعدني في معالجة عملي كتب تصب كلها في اختصاص الفترة الحديثة والعهد العثماني أهمّها كتاب الجالية الأوربية في بلاد الشام لليلى الصباغ في معرفة الأنشطة المختلفة التي مارستها الجالية الأوربية المقيمة في مدينة حلب، وكتاب الحكم المصري في بلاد الشام للطيفة محمد السالم في معرفة أثار تواجد الجاليات الأوربية في الشام، خاصة الآثار الاقتصادية وكتاب الحياة الاجتماعية في الولايات العربية في العهد العثماني لعبد الرحمن النجدي، في معرفة الأشكال الحياة الدينية للجاليات الأوربية.

- **صعوبات الموضوع:**

واجهتني في إنجاز هذا العمل صعوبات وإن لم تكن مهمة كثيرا بالنسبة للباحثين أهمها:

- قلة الكتابات التاريخية وعدم الاهتمام الكبير بالدراسات التي تتحدث عن الجاليات الأوربية في بلاد الشام خلال العهد العثماني.
- ضيق الوقت بحيث أنه غير كاف لإنجاز بحث أكاديمي.

وفي الأخير أتوجه بجزيل الشكر إلى الذي كان سندا وموجها ومشرفا لي في إنجاز هذا العمل الأستاذ: الدكتور "مصطفى عبيد" أطال الله عمره وسدد خطاه، وجعله سراجا منيرا لكل طالبي العلم، وإلى كل من ساعدني.

الفصل التمهيدي: بلاد الشام تحت الحكم العثماني

المبحث الاول: الدخول العثماني لبلاد الشام

المبحث الثاني: التقسيم الإداري العثماني لبلاد الشام

المبحث الثالث: بلاد الشام تحت الحكم المصري 1831-1841

المبحث الأول: الدخول العثماني لبلاد الشام

كانت بلاد الشام[1] تعتبر قبلة العالم وقلبه النابض بحكم موقعها الممتاز بالمتوسط وهي ملتقى قارات العالم القديم ومركزا حيويا من مراكزه المشعة بالحضارة والمعرفة وكانت جسرا لنقل التأثيرات الثقافية والحضارية، وهو الذي يربط الغرب بالشرق برا وبحرا، وبفعل ذلك كانت أيضا مركزا للصراع في العالم عبر التاريخ.

أما عن أسباب الدخول العثماني إلى بلاد الشام: فهناك عدة أسباب دفعت العثمانيين للاتجاه نحو الشرق ونذكر أهمها:

1- الخطر البرتغالي المحدق بحدود المشرق العربي والمهدد لمنافذه الاستراتيجية حيث رأى العثمانيون أنّهم الأولى والأجدر للتصدي له، والجهاد لحماية الأماكن المقدسة.[2]

2- مواجهة الدولة الصفوية الناشئة كدولة من شأنها مناوءة العثمانيين ومنازعتهم على بسط النفوذ. [3]

3- شخصية سليم الأول[4] الذي كان طموحا وقويا ويريد أن يتابع الاستراتيجية العثمانية التي أرسالها أسلافه من السلاطين العثمانيين سابقا، وهدفها تكوين إمبراطورية إسلامية كبرى في المشرق المغرب.

4- إحكام السيطرة على جميع الطرق البحرية والبرية، وضم الولايات العربية الغنية بالموارد الاقتصادية والبشرية. [5]

---

[1]-أحمد إسماعيل، **تاريخ بلاد الشام**، دار دمشق، سوريا، 1994، ص 3-4.

[2]-أحمد زكرياء الشلق، **العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة (1516-1916)**، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002، ص 25.

[3]-نفسه، ص 25.

[4]-ولد سليم سنة **1470م** في أماسيا عندما كان أبوه با يزيد الثاني واليا عليها أطلق عليه ياوز أي الصارم كان عنيفات دائم الحركة مقداما وشجاعا ولما كبر صار اللقب ملازمه. ينظر: (أحمد فؤاد متولي، **الفتح العثماني للشام ومصر**، الزهراء للإعلام العربي قسم النشر، القاهرة، 1995، ص 95-66).

[5]-أحمد زكرياء الشلق، المرجع السابق، ص 25-26.

هذه الأسباب والدوافع تجمعت لتجعل سليم الأوّل يتجه نحو الشرق لمحاربة المماليك في الشام 1516م ثم مصر **1517م**، وفتحت له أفاقا جديدة لكن كانت آنذاك القوة الإسلامية بيد المماليك.[1]

حيث كان الحاكم المملوكي قانصوة الغوري يحس برغبة سليم الشديدة في السيطرة على بلاد الشام فاستعد لمحاربته وتقابل الجيشان في مرج دابق قرب وانتهت المعركة بانتصار سليم وهزيمة المماليك. [2]

ووصل السلطان العثماني سليم الأول في يوم السبت **24 رجب 922هـ** مع جيوشه إلى منطقة تل حبش ونودي أن الحرب ستنشب غدا، حيث جمع سليم قواد جيشه وخطب قائلا: وزرائي وأمرائي وبكوات سناجقي إنّ ما أطلبه منكم هو أن تحاربوا على رأس.

جنودكم، حثوهم على البطولة والشجاعة، وقدر في هذه المعركة عدد الجيش العثماني بحوالي **60 ألف** جندي وعدد الجيش المملوكي بحوالي **80 ألف** جندي معظمهم جراكسة.[3]

والتقى الجيشان المملوكي والعثماني في ضحى الأحد **25 رجب 922هـ/ 24 أوت 1516م** في مرج دابق التي يوجد بصحرائها قبر سيدنا داوود عليه السلام، ولاحت مظاهر النصر العثماني في عصر اليوم نفسه بعد ثمان ساعات من بدء القتال وسرى خبر مقتل السلطان المملوكي الغوري بين العثمانيين فأصدقوا القتال ونهبوا المعسكر المملوكي واستولوا على ما فيه من سلاح ومال وتحف وأرزاق. [4]

---

[1]-أحمد زكرياء الشلق، المرجع السابق، ص 25-26.

[2]-محمد التونجي، **بلاد الشام إبان العهد العثماني**، دار المعركة، لبنان، 2004، ص 34-35.

[3]-أحمد فؤاد متولي، المرجع السابق، ص 165.

[4]-نفسه، ص 167-170.

وبحكم الموقع الاستراتيجي التي تمتعت به بلاد الشام وكذلك أنّها كانت لصيقة بحدود الامبراطورية العثمانية كان من السهل السيطرة عليها ودخولها من طرف العثمانيين، إضافة إلى أن سليم الأول أدرك وتفطن إلى أنّ السيطرة على الشام أمر ضروري لبسط نفوذ دائم على المشرق العربي ولقد كان نفوذ السلطة العثمانية مترجحا بين الحكم المباشر والحكم الإسمي في الولايات العربية وبما أنّ بلاد الشام تعد من أبرز ولاياتها فقد خضعت لحكم عثماني مباشر. [1]

وبعد أن سيطر سليم الأول عام 1516م على الشام قام بتعيين الأمير فخر الدين على جبل لبنان، وأطلق عليه لقب السلطان، وأمّا في غزة الموقع المهم بين مصر وفلسطين والشام فقد وضعها تحت حكم أسرة رضوان حتى سنة 1662م، وأما في سورية فقد اهتم العثمانيون أول الأمر بدمشق لأهميتها الاستراتيجية وحاولوا الحفاظ عليها عسكريا وجددت حاميتها أكثر من مرة ودعمتها بالانكشارية. [2]

المبحث الثاني: التقسيم الإداري العثماني لبلاد الشام

قسم الحكم العثماني بلاد الشام على ثلاث باشوات هي: باشوية الشام ومقرها دمشق وتضم معظم بلاد الشام، باشوية حلب وتشكل شمال سوريا وهي التي تهمنا في بحثنا هذا، وباشوية طرابلس "لبنان" وتشمل الساحل. [3]

استفاد السلطان سليم الأول من حكام سوريا الذين قضوا على الغوري وانحازوا إليه فاستخدمهم كولاة، ولقبوا بالباشوات، فالباشا هو والي الولاية الكبرى والتي تضم مجموعة من السناجق[4]وولاية الشام تتألف من سناجق القدس، غزة، صفد، نابلس، تدمر، صيدا، عجلون. [5]

---

[1]–محمد التونجي، المرجع السابق، ص 38.

[2]–مفيد الزيدي، **تاريخ العرب الحديث**، دار المناهج، الأردن، 2004، ص 24–25.

[3]–نفسه، ص 24–25.

[4]–ومعناها اللغوي العلم واللواء الخاص بالدولة، ثم خص بها اللواء الذي يمنحه السلطان للوالي أو الأمير تعبيرا عن ثقته بأنه أهل للحكم ثم تطورت للدلالة فأصبحت تعني قسما إداريا من أقسام الدولة وحلت محلها مؤخرا الكلمة العربية لواء للمعنى أي قسم إداري ينظر: (سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مكتبة الملك، فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص 146).

[5]–رأفت الشيخ، **تاريخ العرب الحديث**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1994، ص 46.

وبيروت وولاية طرابلس تتألف من سناجق حماة، سلمية، جبلية، وفي القرن **17م** بدلوا بعض التقسيمات فأوجدوا ولاية صيدا وما بيروت وصفد، أما جبل لبنان فكانت له رعاية خاصة بالنظر إلى طوائف سكانه الجبليين (السنة، الدروز والموازنة). [1]

وأما خلال القرن **19م** فقد حكم الشام العديد من الولاة في بيروت ودمشق وحلب وصيدا وسواها وتأثرت بلاد الشام بالتنظيمات العثمانية كغيرها من الولايات العربية بالمشرق العربي فدخلت خطط في السكك الحديدية، والمدارس وهاجرت العقول وأصحاب الأموالمن الشام إلى الخارج، ودخلت حركة الطباعة والنشر وأسست المطابع وانتشرت إلى الولايات العربية الأخرى. [2]

المبحث الثالث: بلاد الشام تحت الحكم المصري

بعد أن تربع محمد علي [3] على السلطة في مصر تمكن من أن يعطي لمصر مكانة مميزة بالاعتماد على قواعد وقوانين خاصة. من أجل إعادة بنائها وأصبحت مصر بجهود محمد علي، أضخم قوة في الإمبراطورية العثمانية، بعدما تم تأمينها وحمايتها من الأطماع الأوربية المتصارعة عليها، وبالنظر إلى شخصية ونفسية محمد علي نجد انّه بعد توليه مصر حدثته نفسه للحصول على المزيد وكان محبا طامعا في السلطة والزعامة الإسلامية.[4]

---

[1]–محمد التونجي، المرجع السابق، ص 74.

[2]–مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص 113.

[3]–ولد محمد علي في مدينة بحرية في مكدونيا تدعى (قولة)، عام 1769 وهو تركي عثماني لا يمت للألبانيين ولا لصقالبة مكدونيا ولا بونانها بنسب ولكنه حين قدم مصر جلب مع الفرقة الالبانية التي أرسلها العثماني إلى مصر مما أشكل أمره على البعض فحسب أن له أصلا ألبانيا ينظر: (بشار أيمن، **دور الشعوب الإسلامية غير العربية في صناعة الحضارة العربية الإسلامية**، موسوعة شرطيوة، (د. ب)، (د. س)، ص 33. محمد التونجي، المرجع السابق، ص76.

[4]–محمد التونجي، المرجع السابق، ص76.

وبما أنّ الشام هي أقرب جغرافيا فقد نوى محمد علي أن يقصدها، وهذا من أجل محاولته بناء دولة عربية مستقلة عن السلطة العثمانية، فبدأ في التخطيط للاستيلاء عليها، وكان ذلك منذ سنة **1810م** وفي إطار حروب الدولة العثمانية في شبه جزيرة المورة اليونانية فقد وعد السلطان العثماني محمد علي بمكافأته في حال انتصاره في هذه الحرب والمكافأة هي بلاد الشام وهذا من أجل تشجيعه. [1]

لكن بعد انتهائه وانتصاره في هذه الحرب قدم له السلطان العثماني جزيرة كريت، واستمرت فكرة الحصول على الشام والسيطرة عليها تراود محمد علي وهذا بعد تلقيه تحريضا من قبل بعض الدول الأوربية ومنها بريطانيا وهذا بغرض إبعاده عن اليونان: فطلب من السلطان العثماني ضم الشام لحكمه مقابل جزية سنوية قدرت بـ ألف كيس. [2]

وبعد أن رفض السلطان العثماني اقتراح محمد علي، سيّر هذا الأخير جيشا بقيادة ابنه إبراهيم باشا، من أجل السيطرة على عكا أولا وعلى الشام بعدها. [3]

كما أنّ الوضعية الاقتصادية للشام، كانت مهمة بالنسبة لمحمد علي، وهذا من أجل السيطرة على موارد الشام، وخبراته، لخدمة أغراضه وسياساته وبرنامجه الهادف إلى تكوين إمبراطورية عربية. [4]

تجسدت رغبة حاكم مصر، وتهيأت الظروف لضم الشام إلى مصر وأعدت الحملة المصرية في نوفمبر **1831م** وصحبها الأسطول المصري المرمم بعد تحطيمه في موقعة نافارين **1827م** وذلك بغرض ضرب الحصار على السواحل الشامية. [5]

---

[1]–لطيفة محمد السالم، **الحكم المصري في الشام**، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990، ص 17–18.

[2]–نفسه، ص 18–20.

[3]–لطيفة محمد السالم، المرجع السابق، ص 18–20.

[4]–مؤلف مجهول، **مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا**، ص 46.

[5]–لطيفة محمد السالم، المرجع السابق، ص20.

وأسندت قيادة الجيش إلى إبراهيم باشا[1] وبصحبته مساعدين معروفين بمستواهم الحربي الجيد أمثال عباس باشا، هذا إضافة إلى وجود خبراء عسكريين أجانب في هذه الحملة، فزحف الجيش المصري عبر العريش وسلك الأسطول مياه المتوسط حتى وصل إلى يافا التي استسلمت بدون حرب. [2]

وبعد سيطرة محمد علي على الشام، فقد وضع السلطة العثمانية والسلطان تحت الامر الواقع وهنا لجأت الدولة العثمانية وعلى رأسها السلطان محمود الثاني إلى عقد معاهدة سميت معاهدة كوتاهية وكان ذلك في أفريل **1833م** وكوتاهية مدينة في غرب تركيا حيث أبرمت فيها هذه المعاهدة بين السلطان العثماني ومحمد علي وتم بموجبها الاتفاق على الصلح وأن يبقى في يد محمد علي المنطقة الممتدة من أضنة إلى عريش مصر أربعة سنوات مقابل دفع مبلغ من المال. [3]

وبدخول الشام في كنف الإدارة المصرية بدأت فيها مرحلة جديدة حيث خضعت لتنظيمات إدارية جديدة. واتبعت سياسة مخططة لتحقيق أهداف مرسومة من قبل الحكم المصري، وكانت أولى هذه التنظيمات إبعاد الصبغة العثمانية بداية من الإدارة حيث عينت الحاكم المدني وله السلطات الواسعة ويتحكم في الإشراف الإداري الكامل على الموظفين ويعاونه سكرتير خاص له وفي الوقت نفسه يزاول مهمة الحسابات. [4]

لكن الحكم المصري في الشام لم ينعم بالاستقرار وهذا راجع إلى عدم تقبل الشعب للحكم المصري وكذلك التحريض المتواصل للدول الأوربية للشاميين سواء عن طريق العملاء أو الجواسيس أدّى ذلك إلى تمرد وثورات ضد الحكم المصري منها ثورة دروز حوران**1837م** والثورة اللبنانية **1840م** لكن الحكم المصري تمكن من إخمادها، وكانت هذه الثورات [5]

---

[1]–ولد إبراهيم باشا عام 1789م وذلك في نهر تلي قرب بالروملي (مقدونيا وفي عام 1806 بعد أن عين محمد علي باشا واليا على مصر أخذ إبراهيم باشا تعليمه وثقافته وكذلك بدأ في ممارسة شؤون الحكم وفي عام 1838م، قاد الحملة العسكرية المصرية على بلاد الشام. ينظر: (مؤلف مجهول، المرجع السابق، ص 11–12).

[2]–نفسه، ص 43–63.

[3]–نفسه، ص 43–63.

[4]–مؤلف مجهول، المرجع السابق، ص 65–66.

[5]–لطيفة محمد السالم، المرجع السابق، ص 66.

مدعومة من طرف الدول الأوربية لضرب الإدارة المصرية وتحقيق أطماعها ووجد الحكم المصري نفسه محاطا ومحاصرا بالأعداء من الداخل الثورات المحلية ومن الخارج القوى الأوربية التي تتربص بالمنطقة مستغلة الوضع لتحقيق أهدافها الاستعمارية وتمكنت من ضرب محمد علي وحكمه بعقد معاهدة لندن سنة **1840م.** [1]

[1]–لطيفة محمد السالم، المرجع السابق، ص 309–314.

الفصل الأول: الحياة العامة للجاليات الأوروبية الوافدة إلى مدينة حلب

- المبحث الأول: الحياة الاجتماعية للجاليات
- المبحث الثاني: الحياة الإدارية للجاليات
- المبحث الثالث: الحياة الإقتصادية للجاليات
- المبحث الرابع: الحياة الدينية والثقافية للجاليات

تعتبر الجالية الأوربية التي وفدت إلى بلاد الشام وأقامت عليها جزءا من الهجرة الأوربية التي تدفقت نحو العالمين الأسيوي والأمريكي، ويعود ذلك إلى أسباب منها: أن بلاد الشام لم تكن منطقة جذب مقارنة بالقارات المكتشفة حديثا فالإمكانيات الاقتصادية وكذا التطورات الحديثة التي توفرت بالمناطق لجديدة لم تتهيأ ببلاد الشام إذ أن هدف إقامة الجاليات الأوربية في بلاد الشام كان هدفا تجاريا، إضافة إلى أنّ الدولة العثمانية التي تحكم بلاد الشام هي الدولة التي كانت أوربا تخشى بأسها وبالتالي فإن الجاليات الأوربية لم تجد الأراضي مفتوحة بشكل مطلق.[1]

تأتي بعدها أسباب توجه الأوربيون إلى بلاد الشام وولاية حلب خاصة.

لكن هذا كلّه لم يمنع الأوربيين من التوافد إلى بلاد الشام، والعيش فيها حيث تجمعت أسباب أخرى أدّت بهم إلى القدوم، ونذكر منها أن بلاد الشام التي انضوت تحت لواء الدولة العثمانية لم تخضع لحكومة مركزية بل كانت ولايتها مستقلة عن بعضها ولكل منها حاكم مسؤول فقط عن الأمن والعدالة ولا تعنيه المشاريع الاقتصادية والاجتماعية مما أدى إلى توطيد العلاقة بين ولايات الشام وأوربا، إبان فترة الحكم العثماني للشام. [2]

- إضافة إلى أن الحرية التي حصل عليها الأجانب في بلاد الشام في ظل توفر الأمن والاستقرار مكنتهم من ممارسة نشاطهم خاصة منها التجارة.

إنّ بلاد الشام بحكم موقعها الاستراتيجي فإنها تتوسط العالم، وتعتبر مركز تجاريا عالميا لوقوعها على طرق التبادل التجاري العالمي. [3]

---

[1]-ليلى الصباغ، **الجاليات الأوربية في الشام في العهد العثماني**، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، 1989، ص 533.

[2]-مهنا المحمد، **الجاليات الأوربية في ولاية حلب**، رسالة ماجستير، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، يوسف تعسة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة دمشق، 2009، ص17.

[3]-نفسه، ص 17.

المبحث الأول: الحياة الاجتماعية للجاليات

أسس الأوربيون مستعمرات كبيرة في حلب ولعل البنادقة أول من نزل أرض حلب من الإفرنج ولنا أن نذكر أن معظم البنادقة كانوا يهودا، وكانت الكومون أي البندقية لا تضم سوى أفراد من فئتين اجتماعيتين وهما: طبقة النبلاء وطبقة المدنيين ولكن يلاحظ أيضا ضمن الجالية البندقية أن هناك أفرادا من أصل غير بندقي أي تجنسوا بالجنسية البندقية وهؤلاء الأجانب هو أولئك الذين اكتسبوا نتيجة ولائهم للجمهورية "حقوق المواطنة". ولهم خانات يقيمون فيها وما زال "خان البنادقة" معروفا إلى اليوم كما كان حيهم المفضل للإقامة هو حي اليهود والذي ما زال يعرف إلى اليوم بحي "بحستيا".[1]

كما وفدت إلى حلب الجالية الإنجليزية والتي وفدت مستكشفة ودارسة لأوضاع البلاد وإمكانات العيش فيها قبل أن تستقر وكان تركيب الجالية الإنجليزية مشابهة لتركيب الجالية البندقية من حيث أنها تضم أفرادا من طبقة النبلاء وآخرين من الطبقة البرجوازية في المدن.[2]

وأطلق سكان حلب آنذاك لفظة "الإفرنج" على الأجانب جميعا دون استثناء وكان هؤلاء الإفرنج يلتقون ويتعاملون فيما بينهم ولم يبالوا بالعلاقات السياسية التي تربط دولهم وكان هدفهم هو والتجارة والكسب والعيش بسلام. [3]

بموجب المعاهدات والامتيازات التي عقدتها الدول الأوربية مع الباب العالي فقد تمتع الرعايا الأوربيون بحماية تامة من الحكومة المحلية في بلاد الشام، حيث كانت تقام لهم احتفالات مهيبة عامة وكانت هذه الاحتفالات المقامة للأجانب تؤثر في نفوس العامة، إضافة إلى أن من المعروف أن لا يسمح لغير المسلمين بركوب الخيل لكن سمحوا[4]

---

[1]–عبد الرحمان النجدي، **الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني**، مطبعة الشركة التونسية، تونس، 1988، ص222.

[2]–ليلى الصباغ، المرجع السابق، ص 644.

[3]– نفسه، ص 641–645.

[4]– عبد الرحمن النجدي، المرجع السابق، ص 225.

للأوربيين الأجانب بذلك، وهذا امتياز خاص، كما كانوا يتمتعون بحياة الحرية في بلاد الشام حيث كانوا يقنصون ويصطادون ويستأجرون البساتين وهذا دليل أنّهم مارسوا حياة طبيعية كباقي أفراد المجتمع الشامي. [1]

وقد اختلط هؤلاء الأجانب مع الشاميين وتزوجوا من النساء الشاميات، فنجم عن ذلك مزيج من الأبناء الهجناء دعوا بالإيطاليةMEZZA RAZA أي الهجين ومن حيث الأزياء بالنسبة للقناصل فكان زيهم رسميا وبعضهم كان يرتدي الألبسة الشرقية حبا بتقليد الشعب أما الباقي الأوربيين فبعضهم كان محافظا على لباسه حيث كان يرتدي اللباس الشرقي إذا أراد زيارة دمشق لقدسية دينية ومن هنا انطلق اسم "شام شريف"[2] على عاصمة ولاية الشام، وحتى من الأجانب من كان يرتدي الألبسة الشرقية كانوا يحتفظون بقبعاتهم وضفائرهم المستعارة علامة فارقة من السكان الأصليين واستمروا على تلك الحالة ثم شرعوا بعدها يتزينون بالزي الغربي جميعا ولم يكن ذلك قسرا بل من حرية منهم. [3]

أمّا بالنسبة للعمران فكان لكل جالية خان[4] تبنيه لها ولأسرتها ودوابها وبضائعها وكانوا يبنونه بطابقين وساحة عريضة مكشوفة مع أروقة تمتد على أطراف هذه الساحة يستخدم الدور الأول للبضائع والدواب بينما يشمل الدور الثاني غرفا عديدة ومخادع.[5]

إنّ معظم الفرنسيين الذين أقاموا على أراضي حلب كانوا من أسر تجارية حيث كانت هذه الأسر ترسل أولادها ليتعلموا فنون التجارة مبكرا فالجالية الفرنسية لم تكن كمثيلاتها من الجاليات الأوربية الأخرى ممتازة الخبرة مستقيمة الخلق بل كانت خليطا شعبيا فيه الشرفاء والمجربون وفيهم المغامرون والمفلسون والنبلاء والبرجوازيون فشرع كليبر وهو قنصل فرنسي ضمن مخططه الإصلاحي بوضع قيود مشددة للانتقال للأفراد ومنها ضرورة الحصول [6]

---

[1]–عبد الرحمن النجدي، المرجع السابق، ص 225.

[2]–بكسر حرف الميم وهو اسم المدينة التي يطلق عليها العرب اسم دمشق، تقع في جنوب غربي القطر وقريبة من لبنان فتحها خالد بن الوليد 13 للهجرة، ينظر: (يلماز أوز تونا، المرجع السابق، ص 810).

[3]–عبد الرحمن النجدي، المرجع السابق، ص 224.

[4]–جمع خانة، منزل وهو مقاس ضريبي به يتم تحديد الضريبة التي يدفعها رب البيت من تكاليف العوارض والنزول (سهيل صابان، المرجع السابق، ص 96).

[5]–عبد الرحمن النجدي، المرجع السابق، ص 224.

[6]–ليلى الصباغ، المرجع السابق، ص646–648.

على تصريح للإقامة في أراضي حلب وتقديمه مبلغا ماليات معينا وتعهدا التزام السلوك الحسن وبذلك ضمنت فرنسا مستوى اجتماعي معين لجالياتها. [1]

المبحث الثاني: الحياة الإدارية للجاليات

إنّ الدول الأوربية المتعاهدة مع الدولة العثمانية للتجارة على أراضيها لم تترك جالياتها وشأنها وإنّما سعت لتنظيمها والإشراف عليها وتوجيهها ولكل جالية حياة إدارية قائمة بذاتها وإن كانت تتشابه مع الحياة الإدارية الأخرى ولقد أطلقت الدول على جالياتها هذه اسم أمة وكانت هذه الجاليات تؤلف أشبه ما يكون بجمهوريات صغيرة في نطاق الدولة العثمانية لها حكامها الخاصون وإداريوها.[2]

لكن هذه الجاليات بحاجة إلى قناصل يشرفون عليها ويحمون تجارتها ويرعون مصالحها، وكان لكل قنصل عدد من الأعوان والموظفين، وكانت القنصلية الفرنسية أكبر هذه القنصليات ويمتاز قنصلها بمكانة خاصة لدى الباب العالي، وكان السلطان يمنحه حق رعاية التجار الذين لم يكن لديهم قناصل في حلب، وكان التجار يستظلون بحماية قنصلهم وازداد عدد ووضع الفرنسيين أهمية في بلاد الشام، فتأسست قنصليات أخرى كبرى في غير حلب كالإسكندرونة،[3]واللاذقية، وطرابلس، وعكا.[4]

وفي ولاية حلب فقد تبنت مدينة مرسيليا تجارة الجالية الفرنسية وكان لها الحق في عقد المعاهدات التجارية مع الأمم الأخرى، وعينت قناصل يديرون شؤونها ولا يسألون إلاّ أمام مجلس المدينة ويقومون بتدبير شؤونها وأمورها الإدارية والدفاعية.[5]

---

[1]–ليلى الصباغ، المرجع السابق، ص 648.

[2]–نفسه، ص 534.

[3]–بعد الدال واو ساكنة ونون، قال أحمد بن الطيب هي مدينة في شرق أنطاكية على ساحل بحر الشام بينها وبين بغراس أربعة فراسخ وبينها وبين أنطاكية ثمانية فراسخ....ووجدت في بعض تواريخ الشام أن إسكندورنة بين عكا وصور (ياقوت الحموي، المرجع السابق، ص 234).

[4]–عبد الرحمان النجدي، المرجع السابق، ص 223–224.

[5]–ليلى الصباغ، المرجع السابق. ص 638.

لم تكن الجاليات الأوربية المقيمة على أراضي الدولة العثمانية والتي تعيش أيضا في قلب الدولة العثمانية وخاصة منها الوافدة إلى بلاد الشام مستقلة عن الوطن الأم، وعن وسلطاتها الوطنية الحاكمة في تصرفاتها رغم أنّها كانت تكون نوعا من الجمهوريات الصغيرة. [1]

وأمّا بالنسبة للجالية الإنجليزية فإنّ المسؤول الأول عنها هي شركة الليفانت فكان يشرف على العمل فيها حاكم ونائب حاكم مساعدا وكلهم ينتخبون سنويا في اجتماع عام للهيئة العامة للشركة في لندن في الأسبوع الأول من شهر فيفري من كل عام، وأعطيت المحكمة العامة حق تعينت القناصل ونوابهم وأعطي هؤلاء القناصل حق تطبيق العدالة على الرعايا الإنجليز في ولاية حلب وللمحكمة العامة حق سن القوانين ووضع النظم والاوامر والتشريعات. [2]

فالجالية البندقية مثلا في بلاد الشام كانت تخضع لإدارتها وتنظيمها وتشريعاتها إلى مقررات مجلس كبير،[3] التي امتدت اختصاصاته حتى شملت كل ما يمس الشؤون العامة، ويمثل السلطة التشريعية التي تسن القوانين وإلى مجلس الشيوخ (السناتو) الذي يملك حق التصرف بالشؤون المالية ولا سيما فرض الضرائب ومناقشة المعاهدات وخاصة الامتيازات. كما كان يضع التعليمات للسفراء في الخارج ويتسلم منهم التقارير التي تخص سفراء وقناصل البندقية وكذلك شؤون الجالية البندقية. [4]

---

[1]–ليلى الصباغ، المرجع السابق. ص 638.

[2]–نفسه، ص 536.

[3]–نفسه، ص 544.

[4]–نفسه، ص 536.

وبموجب سلسلة المعاهدات التي عقدتها الدولة العثمانية، مع الدول الأوربية حيث منحت امتيازات [1] للأجانب وضمنت لهم حقوقا وحريات واصبحت كل جالية أوربية تكون كيانا مستقلا يحكمها القنصل، وطبقت تلك الامتيازات على كل ولايات الشام ومنها حلب.[2]

واتسع مجال القنصليات الأوربية في بلاد الشام ومدنها وموانئها وتعددت القنصليات وصدرت أوامر بالتشديد بشأن حسن معاملة القناصل، فمثلا فعندما عيّن ووري قنصلا إنجليزيا في حلب أعطيت التعليمات للمسؤولين أن يحموه ويصونوه ويعاملوه معاملة الأصدقاء في كل أموره. [3]

[1]–هي الحقوق والامتيازات التي منحها السلاطين العثمانيون للدول الأجنبية ورعاياها على أراضي الدولة العثمانية أو تلك التي حصل عليها الأجانب نتيجة ضغوطهم السياسية والاقتصادية على الدولة العثمانية في عهود ضعفها وانحطاطها وأول امتياز أجنبي الدولة العثمانية كان في عهد السلطان سليم الأول، **ينظر: (سهيل صابان، المرجع السابق، ص 36)**.

[2]–لطيفة محمد السالم، المرجع السابق، ص 263.

[3]–نفسه، ص 264.

المبحث الثالث: الحياة الاقتصادية للجاليات

كانت جمهورية البندقية في مقدمة الدول صاحبة النشاط التجاري في المشرق العربي وبناءا على ذلك كانت هي أوّل دولة أوربية تحصل من الدولة العثمانية على ما يعرف بالامتيازات وذلك بموجب معاهدة عقدها سليم الأول في 14 فيفري 1517م. [1]

فبعد ضم الشام للدولة العثمانية من طرف سليم الأوّل سنة 1516م سارعت جمهورية البندقية لتؤكد على امتيازاتها في الشام والتي منحتها الدولة المملوكية من قبل تجار الجمهورية فأوفدت البندقية بعثة اقتصادية يرأسها كل من ألفيز موسينيغو وبارتو كونتاريني لإقرار امتيازاتها وتجديدها وبالفعل تمكنت من ذلك فقد وقع سليم الأوّل المعاهدة المذكورة سابقا حيث أقرت فيها الحرية والتسهيلات للتجار البنادقة، وليس عليهم دفع الرسوم ولا يكون ضرر في أموالهم ولا في تجارتهم أثناء إقامتهم على الأراضي في الشامية، إضافة إلى فتح موانئ السلطة العثمانية لتجارة البندقية وخاصة في ولاية حلب. [2]

امتيازات كانت بمثابة قواعد تنظيم إقامة الأجانب في ولايات الدولة، ولم يلبث أن حصل التجار الإنجليز والهولنديين وغيرهم من تجار الدول الأخرى على امتيازات مشابهة الامتيازات التي حصل عليها البنادقة وعليه منح هذه الامتيازات من جانب السلاطين العثمانيين للتجار الأجانب كان الهدف منه تنشيط التجارة ورواجها بين الدولة العثمانية وممتلكاتها وبين الدول الأوربية. [3]

---

[1]–إسماعيل أحمد ياغي، **العالم العربي في التاريخ الحديث**، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997، ص 179. إدريس الناصر الرائسي، المرجع السابق، ص 130.

[2]–إدريس الناصر الرائسي، المرجع السابق، ص 130.

[3]–عبد الرحمن النجدي، المرجع السابق، ص 222.

وكان التجار البنادقة يقيمون في خانات يستقبلون فيها تجارتهم وكانت أرباحهم التي يجنونها من التجارة كبيرة جدا، ويأتي بعد البنادقة دور التجار الإنجليز وقد تأسست في حلب "الوكالة التجارية الإنجليزية" وكان مفرها خان الجمرك وكانت هذه الوكالة تتألف من قنصل ونائبه وعدد من التجار قد يزيد عن الستين تاجرا. [1]

كما عقدت فرنسا معاهدة مع الدولة العثمانية حيث عقدت بين سليمان القانوني وفرانسوا الأول ملك فرنسا 1535م، والتي كانت في شهر فيفري حيث جددت فيها الدولة العثمانية الامتيازات التي سبق أن منحها سلاطين المماليك للفرنسيين وأهم بنودها هي:

جواز السفر للفرنسيين بحرا وبرا في أراضي الدولة العثمانية والمجيء إليها والإقامة فيها بقصد الاتجار على حسب رغبتهم بكمال الحرية وأيضا دون حصول اعتداء أو تدخل في تجارتهم، كما تقرر بمقتضى هذه المعاهدة منح الرعايا الفرنسيين الحق في حرية الملاحة في المياه الإقليمية التابعة للسلطنة العثمانية وممارسة البيع والشراء وتحديد الرسوم الجمركية بنسبة موحدة وهي 5% إضافة إلى إعفاء الرعايا الفرنسيين من أي ضريبة. [2]

ولقد استغل التجار الفرنسيون بنود هذه المعاهدة والامتيازات الممنوحة لهم أحسن استغلال واستطاعوا لانتشار في مختلف أرجاء الدولة العثمانية خاصة بلاد الشام، حيث استعادت مكانتها التجارية مع أوربا بالسبب نشاط الاقتصادي للتجار الأجانب وخاصة منهم الفرنسيين. [3]

وكانت هذه الامتيازات الممنوحة للرعايا الفرنسيين بمثابة مكافأة من طرف السلطان العثماني تهدف أساسا إلى تقوية دور فرنسا على الصعيد الأوربي من جهة ومن جهة أخرى تشجيع الفرنسيين للتجار مع السلطة العثمانية، لكن فرنسا كانت كل مرة تسعى إلى تجديد المعاهدات مع الدولة العثمانية لمنحها امتيازات أكثر وكذلك خوفا على مكانتها بين الدول الأوربية وتحديدا فيما يخص حرية التجارة والملاحة. [4]

---

[1]–عبد الرحمن النجدي، المرجع السابق، ص 223.

[2]–إدريس الناصر الرائسي، المرجع السابق، ص 99.

[3]–نفسه، ص 106.

[4]–نفسه، ص 101.

جددت فيها الدولة العثمانية الامتيازات التي سبق أن منحها سلاطين المماليك للفرنسيين وتم بموجبها تنشيط التجارة الفرنسية وازداد عدد التجار الفرنسيين بحلب حتى زاد عددهم عن عدد التجار الإنجليز، وكانت مستعمرهم هي خان الجبل بالإضافة إلى عدد كبير من المنازل ومن الجاليات المهمة التي حطت في حلب نذكر الجاليات الهولندية. [1]

كان لسياسة الدولة العثمانية المالية وتجارتها مع الدول الأوربية دورا مهما في تزايد أهمية المسيحيين واليهود في المدن والولايات التابعة لها، فكان لليهود دور ونفوذ في إقراض المال وأعمال الصيرفة والعمل كملتزمين، والتجارة في المعادن النفيسة كالذهب والفضة، ففي حلب والأماكن الأخرى التي عاش فيها التجار الأوربيون لعب المسيحيون دور الوساطة في التجارة من وإلى أوربا. [2]

واستفاد المسيحيون من الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية للدول الأوربية في القدس خاصة التي تحمي طائفة معينة مثل الفرنسيين، وكان رعايا تلك الدول يعفون من بعض الضرائب بفضل حماية القناصل الأوربيين لهم ممّا أدى إلى تركيز التجارة بأيديهم، وقد كانون يصدرون بضاعتهم لأوربا عن طريق ميناء يافا الذي شهد حركة تجارية واسعة.[3]

وقد تدفق التجار الأوربيون وازداد عددهم في بلاد الشام وكان لهم دور في إحياء واستمرار الطريق البري الذي يبدأ وينتهي بحلب، ولم يكتف التجار الأوربيون باستيراد بضائع الهند بل كانوا يستوردون منتجات لبنان وفلسطين وغيرها إلى حلب بمساعدة تجارها ومن ثم ينقلونها إلى بلادهم في الغرب ومن هذا يتضح لنا أن قضايا التجارة وشراء السلع والتحكم في الأسعار واحتكار البضائع كان بيد الأجانب. [4]

---

[1]–زين العابدين شمس الدين، **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، دار المسيرة، الأردن، 2001، ص 24.

[2]–فاطمة الطراونة، **الأهمية الاجتماعية والاقتصادية للقدس العثمانية والتدخل الأوربي فيها في العصر الحديث والمعاصر**، ص 23.

[3]–عبد الرحمان النجدي، المرجع السابق، ص 225.

[4]–نفسه، ص 225.

ومد الإنجليز متاجرهم في نواحي حلب وحصلوا من الدولة العثمانية على احتكارات وتسهيلات شتى حتى أصبحت الشام كلّها منطقة نفوذ تجاري لهم لا يكاد ينافس منسوجاتهم ومنتجاتهم الأخرى منافس فيه. [1]

حيث منح السلطان العثماني أوّل امتياز إنجليزي سنة 1580م ثم منحت إنجلترا امتيازا أوسع كان ذلك سنة 1583م وعمم على جميع التجار الإنجليز وتم بموجبها تأسيس الشركة الشرقية، بمرسوم ملكي في 11 سبتمبر 1581م، كما خفضت الحكومة العثمانية الضرائب على التجار الإنجليز.[2]

أما بالنسبة للروس وبعد قيام علاقات صداقة بين الروس والعثمانيين عام 1461م وذلك بعد سقوط إمارة موسكو بأيدي الروس وصل أوّل سفير روسي ومعه جملة هدايا للسلطان وبعدها بأربع سنوات وصل سفير آخر وحصل على بعض الامتيازات للتجار الروس وتمكن الروس من الحصول على حرية التجارة على أراضي الدولة العثمانية كما سعى الروس مجددا للحصول على امتيازات أخرى شملت الوصول إلى المياه الدافئة وإظهار نواياها وطموحها في تهديد كيان الدولة العثمانية. [3]

وفي ظل الحكم المصري لبلاد الشام الذي استمر 10سنوات (1831-1841) نعم الأجانب بامتيازات ورغدوا في كنفها وساعدتهم تلك الفرمانات[4] التي صدرت وأعطتهم الحرية في التعامل الاقتصادي بعدان كان الحكم المصري قد وضع الشروط وأقام القواعد لتحديد تحركاتهم فعادوا لطرق ممارستهم وتوسعوا فيها وسعوا للحصول على أكثر ممّا هو مقرر لهم لم يكن من حقه امتلاك الأراضي في أملاك الدولة العثمانية. [5]

---

[1]-حسين مؤنس، **الشرق الإسلامي في العصر الحديث**، مطبعة حجازي، القاهرة، 1946، ص 280.

[2] -إدريس الناصر الرائسي، المرجع السابق، ص 118-120.

[3]-لطيفة محمد سالم، المرجع السابق، ص 266.

[4]-الأمر السلطاني الرسمي المكتوب الصادر في قضية من القضايا، يماثله في المعنى: بتي وحكم ومثال يتم تدوينه بالخط الديواني في الديوان الهمايوني ويسجل ملخصه في سجل الديوان ويشتمل عادة على إغراء السلطان ونوع الفرمان والسبب الذي أدى على إصداره، والغرض منه بعبارة صريحة والتاريخ. (سهيل صابان، المرجع السابق، ص 164).

[5]-لطيفة محمد سالم، المرجع السابق، ص 266.

لكنّ أطماعهم توسّعت خاصة عندما وهب محمد علي بعض الأراضي كمكافأة، كما أنّه تغاض عن ذلك الوضع الذي يقيم فيه الأجنبي مباني على أرض فيعتبرها ملكا له.[1]

وعليه يمكننا القول أنّ سياسة الدولة العثمانية تجاه الجاليات الأوربية المقيمة في أراضيها كانت مبنية أساسا على سياسية الامتيازات التي هي عبارة عن بنود قانونية تحدد وضع الأجانب في الدولة العثمانية. [2]

المبحث الرابع: الحياة الثقافية للجاليات

إنّ الجاليات الدينية والأوربية ليست جديدة على الأرض الشامية، فقد رافقت فيما مضى الحملات الصليبية وكانت الداعية لها وعندما استقرت عملت على إرضاء الحاجات الدينية من إقامة للشعائر والوعظ كما سعت على إنشاء الكنائس في جميع المدن وأخذت على عاتقها مهمة رعاية الحجاج المسيحيين الوافدين لزيارة الأماكن المقدسة ووافق ذلك النشاط ظهور لبذور الحركة التبشيرية المسيحية لتنصير بلاد الشام. [3]

فإلى حلب انتقل رجال الدين وأقاموا في قيساوية الشيباني وزاد تواجدهم مع زيادة توافد الجاليات الأوربية التجارية إلى هذه المدينة وخاصة الجالية الفرنسية وقد خدموا كنيسة القنصلية الفرنسية في حلب إلى عهد القنصل ذونون، وكانوا يعتبرون قساوسة جميع كاثوليك المدينة، ورئيسهم هو حارس دير الأرض المقدسة، كما كانوا مشرفين على كنيسة البنادقة في حلب التي أقامها هؤلاء في مخزن كبير تحت خانهم، ثم صدر فرمان من طرف الباب العالي بمنح الحرية في إقامة العبادات ونالوا ترخيصا فرمان من طرف الباب العالي بمنح الحرية في إقامة العبادات ونالوا ترخيصا لإنشاء كنيسة، وقد امتد نفوذ الرهبان من حلب وحتى خارجها. [4]

---

[1]–إدريس الناصر رائسي، المرجع السابق، ص 288.

[2]– لطيفة محمد السالم، المرجع السابق، ص 266.

[3]–ليلى الصباغ، المرجع السابق، ص 768.

[4]–نفسه، ص 806.

ومهدت الامتيازات الأجنبية الطريق أمام تدخل فرنسا وغيرها من الدول الأوربية في شؤون الدولة العثمانية ورعاياها وخاصة رعاياها من النصارى وتجلّى ذلك بدعم الدول الأوربية للطوائف النصرانية ومطالبتها لدولة العثمانية بعقد معاهدات امتيازات تعطيها حق حماية النصاري، كما اقرت الحق للرعايا الفرنسيين بممارسة الطقوس الدينية. [1]

لجأ المبشرون إلى التعليم كوسيلة لاستمالة الأهالي وبث أرائهم وهكذا أنشأت الإرساليات المدارس لتعليم الأطفال، فأسسوا مدارس صغيرة يعلمون فيها الأطفال أصول الدين المسيحي ومبادئ القراءة والكتابة ولقد كتب الأب "جوزيف دوترمبلي" إلى رئيس مجمع الدعاية بطلب إقامة مدرسة في حلب وأن يضيف لهذه المدرسة مطبعة نشر لكتب الدين والآداب باللغات الشرقية. [2]

فوقعت في أعوام 1887م-1889م مواثيق تؤكد حماية المسيحيين الكاثوليك سمحت الدولة العثمانية للجيزويت لإنشاء مدرسية إكليريكية ثم أضافوا إليها علوم الدين كما توسع الجيزويت في مشروعاتهم ونقلوا مدرستهم على بيروت وادخلوا عليها تعديلات حيث جعلوها لكل المذاهب المسيحية وفي عام 1883م أنشأوا مدرسة للطب والصيدلة. [3]

والجدير بالذكر أنّ هذه المدارس وضعت في عهد الإكليروس المتخذين وتعمل التزاما بما فرضه الباب العالي علنية في ممارسة الأوربيون نشاطه الديني ولكن مناهج الدراسة بقي في معظمه على ما هو عليه ولم يطرأ أي تغيير عليها. [4]

---

[1]-فاطمة الطراونة، المرجع السابق، ص 23.

[2]-ليلى الصباغ، المرجع السابق، ص 826.

[3]-إبراهيم علوان، **مشكلات الشرق الأوسط والوطن العربي**، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1968، ص 6-7.

[4]-المهنا محمد، **الجالية الأوربية في حلب**، رسالة ماجستير، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة دمشق، 2009، ص 164.

وأمّا اليهود فقد تمتعوا بحرية دينية كاملة لم يعهدوها وفي إطار سياسة رفع الأعباء عن أهل الذمة صدرت الأوامر بإلغاء الأموال المقررة والعبودية على طائفة اليهود أثناء زيارتهم الأماكن المقدسة، وبناء على ذلك كثر عدد اليهود الوافدين من أوربا، وفيما يخص بناء المعابد فكان لليهود أراضي يمتلكونها فطلبوا بناء معابد وبدأ تحقيق رغبات اليهود ويتزعم حاخامهم في القدس المطالب الخاصة بعبادتهم ووصل الأمر إلى أن اليهود أصبحوا يرممون معابدهم بدون الحصول على إذن. [1]

[1]–لطيفة محمد سالم، المرجع السابق، ص258.

الفصل الثاني: أثار الجاليات الأوروبية الوافدة إلى مدينة حلب

- **المبحث الأول: الآثار الاجتماعية للجاليات**
- **المبحث الثاني: الأثار الاقتصادية للجاليات**
- **المبحث الثالث: الآثار الدينية والثقافية للجاليات**

المبحث الأوّل: الأثار الاجتماعية للجاليات

وأمّا عن الأثار التي خلفتها الجاليات الأوربية على المستوى الاجتماعي فعلى الرغم من العزلة المبدئية التي عاشتها هذه الجاليات وسط المجتمع الحلبي، فإنّ أثار إقامتها كانت هامة وخطرة.

لقد عاشت في نطاق المجتمع العربي الشامي فئات تختلف عنه لغة ودينا، ونظاما وحضارة وقد أراد المجتمع الشامي أن تكون على حوافه لا أن تتغلغل وتذوب في صميمه وأعماقه فعزلها إضافة إلا أن هذه الجاليات لم تحاول التفاعل مع المجتمع بل أرادت أن تحتفظ بكيانها وذاتيتها وتركيبتها إلى أنّها كانت بحاجة إلى عناصر تنسجم معها، وفي الواقع كان التجاذب بينها وبين المسيحيين لتقاسم عامل الدين، فالجالية الأوربية كانت أيضا بحاجة إلى سند من الأهالي لتنال المعاهدات من السلاطين.[1]

إنّ اختلاط سكان حلب بالجاليات الأوربية ووجودها كان له أثر بالغ على نطاق واسع، على حد تعبير ووصف الرحالة الفرنسي فولني الذي زار حلب عام 1748م وألف كتابه (رحلة إلى الشرق في سورية ومصر) حيث تحدث عن أهالي حلب ولاحظ أن في مدينة حلب كان وجود الجاليات الأوربية ومبادلاتهم معها تدر على حلب أرباحا طائلة وفائدة مادية ضخمة. [2]

شكلت الجاليات الأوربية طبقة برجوازية واضحة في إطار المجتمع وخاصة في المدن الكبرى مثل حلب وكانت هذه الطبقة البرجوازية تختلف كثيرا عن سكان القرى والمدن لأنّها بالطبع الأكثر غنى وقد شرعت في بناء القصور الفخمة حتى أنّ حي الجديدة وهو حي المسيحيين في حلب اتسع وارتفعت فيه البنايات الكبيرة والواسعة. [3]

---

[1]–ليلى الصباغ، المرجع السابق، ص 870.

[2]–محمد المهنا، المرجع السابق، ص 144.

[3]–ليلى الصباغ، المرجع السابق، ص 871.

وهذا ممّا يفسر الحرية التي تمتعت بها الجالية الأوربية إبان إقامتها في أرجاء الدولة العثمانية عامة وحلب خاصة حيث تمتعت بحرية التنقل والتجوال في جميع. وكان الإنجليز هم أكثر هذه الجاليات اهتماما بهذا الأمر حيث شكلوا مجموعات تخرج لزيارة قلعة القديس سمعان العمودي. [1]

وبفعل السماح للبنادقة –منذ التحاقهم بأرض الشام– بإحضار أسرهم معهم كانت أن حياتهم في حلب أكثر انسجاما مع حياة أهل البلاد حيث كانوا أكثر تكيفا من غيرهم من الجاليات بل إنّ بعض أبنائهم تزاوج بحرية مع السكان واستقر لمدة واقام في بيوت واسعة وعاش فيها حياة تشبه حياة السكان أنفسهم. [2]

كما كان من نتائج إقامة الجاليات الأوربية بحلب ظهور فئة الاجتماعية صغيرة فيها نتيجة التزاوج بين أفراد الجالية الأوربية وفتيات من مسيحيي حلب وسميت هذه الفئة MEZZARAZA مما شكل نزاعات بين الجاليات والسلطات المحلية. لذلك سارعت الدول الأوربية إلى منع أفراد جالياتها من التزاوج. كذلك تسرب بعض العادات الاجتماعية السيئة إلى المجتمع الحلبي بكافة فئاته ومن هذه العادات (لعب الورق، التدخين، شرب الخمر). [3]

على الرغم من أنّ مجتمع حلب كان مجتمعا محافظا إلاّ أن أهالي حلب فتحوا أبوابهم أمام الأطباء الأوربيين الذين كانوا يزاولون الطب في حلب. وقد كان منهم الفرنسيون والإيطاليون والإنجليز واكتسبوا معرفة باللغة العربية. [4]

---

[1]–محمد المهنا، المرجع السابق، ص 136.

[2]–نفسه، ص 133.

[3]–ليلى الصباغ، المرجع السابق، ص 179.

[4]–نفسه، ص 144.

ومن الأثار الخطيرة أيضا للجاليات نذكر نتائج امتيازات الحماية الممنوحة، للأجانب والتي استغلوها بسوء في أوساط المجتمع وفتحوا المخمرات وتبين أنّ الذين يديرونها يونانيون أصحاب حماية بريطانية وأنّها يجب أن تقام في الطرق البعيدة لتكون راحة للمسافرين والأوربيين. وبعل منكراتها اضطر السكان إلى غلق بعضها.[1]

وتحول أذى أصحاب الحماية إلى الأهالي فرفعت الشكاوى منهم تصف تلك الأفعال غير اللائقة، حيث كانوا يبيحون المحظورات، دون أن تمتد إليهم يد السلطة فحدث أن أقدم أحد من ذوي الحماية البريطانية على السرقة ولما قبض عليه تدخل قنصله وتم الإفراج عنه.[2]

المبحث الثاني: الآثار الاقتصادية

كان لتوافد الجاليات الأجنبية للبلاد العربية الخاضعة للحكم العثماني وخاصة بلاد الشام عموما وحلب خصوصا دور في الانطلاقة الاقتصادية التي عرفتها البلاد، وهذا بسبب التسهيلات المشجعة التي منحتها الدولة العثمانية لاستقطاب الأجانب إلى أراضيها. وأدى نشاط الأجانب الاقتصادي إلى حركية في الاقتصاد العثماني في شتى ميادينه.[3]

ويبدو أثر الجاليات الأجنبية على اقتصاد الدولة العثمانية واضحا في دفع الإنتاج الصناعي. فحلب مثلا كانت مقر صناعة نسيجية شهيرة في مطلع العصور الحديثة، ومن ثم فإنها أعطت للوافدين الجدد معرفة تقنية في الميدان الصناعي ولا سيما في أنواع الصباغات وطريقتها، كما أن احتكاك الصناعات الأوربية مع الأسواق وتنافسها رفع من المستوى الفني لتلك الصناعات وأكسبها جودة وإتقانا لأن بلاد الشام كانت سوقا للإنجليز والفرنسيين والبنادقة. [4]

---

[1]–لطيفة محمد السالم، المرجع السابق، ص 868.

[2]–نفسه، ص 869.

[3]–الغالي غربي، **دراسات حول تاريخ المشرق العربي والدولة العثمانية** (1288–1961)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 101.

[4]–ليلى الصباغ، المرجع السابق، ص 868–869.

وأمّا في الميدان الزراعي فلا تظهر أثار ذات قيمة كبيرة للجاليات الأوربية التي أقامت في حلب، وإن كانت الدراسات النباتية الواسعة التي قام بها بعضهم قد أسهمت إسهاما غير مباشر في التعريف بكثير من النباتات ويمكن أن تدخل في هذا النطاق زراعة "البن".[1]

ولنا أيضا أن نجمل أثر الجاليات الأجنبية في تطور النشاط التجاري بعودة التجارة الخارجية للدولة العثمانية من خلال إحياء الطرق التجارية البرية القديمة التي كانت تربط المنطقة العربية بأقصى آسيا وإفريقيا، حيث عجت طرق الصحراء بالقوافل التي تنقل السلع. والبضائع متجهة إلى بلاد الشام وهدفها الداخلية كدمشق وحلب وأمّا من جانب البحر فإنّ الموانئ العربية عرفت نشاطا واكتظت بالمراكب والسفن وأخذت بلاد الشام تتصل بمصر من جهة وأزمير والقسطنطينية من جهة أخرى، إضافة إلى اشتهار عدة مدن ومناطق وسيطرتها على التجارة الداخلية والخارجية في المشرق العربي منها المدن الشامية خاصة حلب ودمشق.[2]

سارعت الدول الأوربية عن طريق جالياتها المقيمة على الأراضي الشامية وولاية حلب إلى جعل الأخيرة سوقا لتصريف البضائع المصنعة للاستهلاك، كون ولاية حلب تتميز بتعداد سكاني كبير، كما استفادت الجاليات من ولاية حلب كمعبر اضطراري تجاري مهم إلى الشرق الأدنى، كما أصبحت حلب ذات أهمية تجارية بالغة بسبب أنّها لعبت دور المستقبل والموزع الرئيسي لمختلف الأسواق حيث كانت تستقبل بضائع الغرب الأوربي المصنعة الجاهزة ثم توزعها نحو الشرق الأدنى. [3]

---

[1]–الغالي غربي، المرجع السابق، ص 102.

[2]–نفسه، ص 102–103.

[3]–نفسه، ص 110.

ومن الآثار الاقتصادية أيضا ارتفاع الوسطاء في مدينة حلب حيث لعبوا دور الوساطة بين أهالي البلاد المسلمين والجالية الأوربية وأهمهم المسيحيين (الروم، الأرمن) وساعدهم على ذلك الرابطة الدينية. [1]

كما أصبحت مدينة حلب إحدى أكبر وأهم محطات التبادل التجاري في حوض المتوسط بسبب فتح أبواب التجارة أمام الأوربيين واستمر ذلك لفترة طويلة أدّى إلى ازدهار التجارة والمبادلات التجارية بين الطرفين، كما تمتعت حلب بعلاقة ودية مع أوربا بسبب الميزان التجاري ونشاط التجار المقيمين في مدينة حلب وكذلك بسبب منح الحرية للجالية في ممارسة نشاطاتها الاقتصادية واستغلال أموالها. [2]

بالمقابل إنّ سياسة الاقتصاد المفتوح التي انتهجتها السلطة العثمانية والتي كانت تسعى من ورائها إلى توفير موارد مالية لرفد خزينة الدولة، وإرضاء حاجات السكان يمنح الامتيازات التجارية للدول الأوربية قصد تنشيط التجارة، فسياسة الامتيازات التي تمادت فيها الحكومات العثمانية لم تنعش الاقتصاد العثماني بقدر ما خلقت فيه أزمات. [3]

وأصبحت بذلك الامتيازات التي حصلت عليها الدول الأوربية والتسهيلات المقدمة من طرف الدول العثمانية أداة لخدمة التطور الأوربي وأضحى الأوربيون هم المستفيد من التجارة بحلب ممّا أدّى إلى تدهور القاعدة الاقتصادية بها وهم صورة واضحة لما تميزت به السلطنة العثمانية آنذاك كونها هدفا هاما للاستغلال الاقتصادي للدول الأوربية. [4]

---

[1]–الغالي غربي، المرجع السابق، ص 110–111.

[2]–محمد المهنا، المرجع السابق. ص 67.

[3]–إدريس الناصر، رائسي، المرجع السابق، ص 333.

[4]–نفسه، ص 336.

ومن مظاهر تأثير الجاليات الأوربية على الدولة العثمانية في المجال الاقتصادي دوما، نذكر أنها استفادت من الكثير من الحقوق منها وعلى رأسها الإعفاء من الضرائب الجمركية، الأمر الذي أدى إلى خفض الأسعار للبضائع واستهلاكها، كما أدّى إلى إضعاف التجارة الداخلية والخارجية. [1]

المبحث الثالث: الأثار الثقافية

وأمّا في المجال الثقافي فقد كان للجاليات الأوربية تأثيرات هامة والأثر الأكبر هو إدخال الثقافة الأوربية الغربية عن طريق المبشرين الدينيين ومدارسهم التي أقاموها في أوساط إرسالياتهم وأديرتهم، فالتعليم في الواقع هو العنصر الهام الذي يحرك المجتمع فكريا، ولكن هذه المدارس كانت غايتها بالإضافة إلى التنصير تخريج إكليروس محلي مثقف يخدمأغراض الكاثوليكية وكانت الدراسات الدينية واللغوية هي أساس تلك المدارس. [2]

قامت البعثات التبشيرية الأوربية بجهود كبيرة فعملت هذه البعثات وبدعم من الجاليات ودولهم وخاصة فرنسا على تقسيم الطوائف المسيحية في مدينة حلب كما نجحت الإرساليات في إنشاء كنائس كاثوليكية رغم نظرة السلطنة العثمانية والشعب إلى الكاثوليكية على أنّها عدو للسلطنة باعتبارها ممثلة البابا، ممّا اسهم بشكل فعال إلى انقسام وحدة تركيبة المجتمع العربي في ولاية حلب، وأضعفت مقاومتها أمام الدول الاستعمارية.[3]

---

[1]–عبد المنعم إبراهيم الجميعي، **وثائق ونصوص في تاريخ الدولة العلية العثمانية**، (د. د)، (د. ب)، (د. س)، ص 371.

[2]–ليلى الصباغ، المرجع السابق، ص881.

[3]–علي عبد المنعم شعيب، **التدخل الأجنبي وأزمات الحكم في تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، لبنان، 2005، ص 175.

وحملت هذه الجاليات معها لغتها إلى حلب، ووثقتها بالمعاهدات فكانت بذلك مهد النفوذ الثقافي الذي من مظاهره هناك إقرار اللغة الفرنسية في جميع المدارس. وكانت النتيجة أنّ عدد المدارس الفرنسية افتتحت وصل إلى خمسمائة مدرسة وأصبحت الفرنسية لغة المكاتب والمصارف وكانت لها الغلبة. [1]

واتبع المبشرون سياسة طبع الكتب الدينية حيث أدخلت أول مطبعة عربية إلى حلب مطلع القرن 18، مما زاد في كمية الكتب المطبوعة وخاصة الكتب الدينية التي تؤثر على عقول قارئيها وتجعلها تؤيد ما فيها لصالح دول الإرساليات. [2]

وقد كانت فرنسا هي السباقة إلى إرسال البعثات التبشيرية لجذب مسيحيي الشرق حتى يكونوا وسيلة لها في التدخل بشؤون السلطنة العثمانية الداخلية ولم تدخر فرنسا جهدا إلاّ وبذلته في دعم الإرساليات التبشيرية لنشر الكثلكة. [3]

واستفادت الجالية الأوربية بحلب من الرعاية الفرنسية التي مدت سلطانها أيضا إلى رعاية الأماكن المقدسة والعناية بها وحصلت من الدولة العثمانية على تعهد بأن يباح للحجيج زيارة الأماكن المقدسة في أيام الحرب والسلم. [4]

كذلك استفادت الجالية الأوربية بحلب من رعاية بريطانيا التي سارت هي الأخرى على خطى فرنسا فأرسلت إرسالياتها التبشيرية البروتستانتية لتقوم بالتعليم وبث أفكارها، كما سارعت إلى إرسال طلاب الجالية في إرساليات إلى جامعة اكسفورد ليتعلموا ويكونوا نواة تغلغل للنفوذ البريطاني الاستعماري بالمنطقة. [5]

---

[1]–إبراهيم علوان، المرجع لسابق، ص 76.

[2]–حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 288.

[3]–محمد المهنا، المرجع السابق، ص 178.

[4]–نفسه، ص 175-176.

[5]–علي عبد المنعم شعيب، المرجع السابق، ص 178.

وبالتالي فقد كانت تلك الجاليات من خلال نشاط الإرساليات الدينية طريقا آخر للتغلغل الأوربي في بلاد الشام، وبعد أن خفت قوة نشاط هذه الإرساليات في مستهل القرن 19م اشتدت ثانية في الأربعينيات إذ فتح المبشرون المدارس والمؤسسات في سوريا وفلسطين ناشرين بحماس تعاليم المسيحية بالإضافة إلى بسط نفوذ الدولة التي ينتسبون إليها. [1]

كانت سياسة التسامح الديني تجاه الجالية الأوروبية أولى الصفات التي تميز بها الحكم المصري في الشام ونعني بالتسامح الديني عدم التفريق بين العربي المسلم والعربي المسيحي أمام الدولة فتح الاتجاه العلماني أبواب الأقاليم الشامية أمام بعثات التبشير الغربية وخاصة البعثات الكاثوليكية الفرنسية وهذا ما ساعد على نمو نزعة الانفصال عن الدولة العثمانية عند العرب. [2]

وأثناء الحكم المصري لبلاد الشام فتح المجال أمام البعثات التبشيرية فأدّى ذلك إلى زيادة عدد المبشرين وانتشارهم في جميع أنحاء الإقليم، وجاءت أعداد خاصة من اليسوعيين إلى الشام عام 1834م وساعد ذلك على انتعاش اللغة العربية إلى حساب التركية وإلى قيام حركة فكرية ظهرت في الأدب ثم انتقلت بعد ذلك إلى السياسة. [3]

كما لعبت الجاليات الأوربية في ولاية حلب دورا مهما في توجيه اهتمام رجال العلم والاثار إلى الأهمية الحضارية والتاريخية لبلاد الشام، فقد كان للجالية الإنجليزية السبق في اكتشاف مدينة تدمر وأثارها الجميلة إذ زارها القس ليفاكس الذي قام برحلة إليها سنة 1678م وتابع دراساته في القرن 18م وكل ذلك تم بدعم ووساطة الجاليات الاوربية التي شكلت نقطة استناد لهؤلاء العلماء أثناء تواجدهم في حلب. [4]

---

[1]–فلاديمير لوتسكي، **تاريخ الأقطار العربية الحديثة**، دار الفارابي، لبنان، 1985م، ص146.

[2]–نفسه، ص 189–190.

[3]–جلال يحي، المرجع السابق، ص 191.

[4]–محمد المهنا، المرجع الاسبق، ص 179.

كما لعب الرحالة الأوربيون دورا كبيرا في التمهيد لفرض السيطرة الاستعمارية على البلاد العربية وخير مثال على ذلك الرحالة الفرنسي فولني (VOLNY) الذي قدم معلومات عن رحلته في سوريا ومصر من كافة النواحي الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، استند إليها نابليون في حملته على مصر وسوريا عام 1798م، كل ذلك تم بفعل البعثات التبشيرية من جهة ودعم الجالية المقيمة على أراضي ولاية حلب من جهة أخرى. [1]

[1]–علي عبد المنعم شعيب، المرجع السابق، ص 180.

خاتمة

وفي الأخير يمكن القول بأن طبيعة الحكم العثماني في مدينة حلب وعلاقته مع أوربا أملت طبيعة تواجد الجاليات الأوروبية في المنطقة حيث تميز هذا الحكم بالانفتاح على الدول الأوروبية ومنح حياة خاصة للأجانب من طرف الدولة العثمانية وكان سببا في تغلغلهم واندماجهم داخل المجتمع وزيادة نفوذهم حيث توافدوا من أهم وأكبر الدول الأوروبية وشكلوا في المجتمع الحلبي كيانات مستقلة تميزت كل جالية بحياتها الاجتماعية وتنوعت في تركيبتها وطريقة عيشها كما أن هذه الجاليات كانت منظمة ومؤطرة إداريا ولكل جالية قنصل يشرف على توجيهها وخدمتها.

كان لإقامة الجاليات الأجنبية الأوربية على أراضي حلب أثارا واسعة على مختلف النطاقات فعلى المستوى الاقتصادي أدّى تواجد الأجانب وتدفقهم إلى حركية وازدهار اقتصادي، وتنشيط التجارة وأضحت حلب سوقا مفتوحا للبضائع والسلع الأوربية ومحطة للتبادل التجاري في حوض المتوسط وعلى مستوى المجتمع فقد خلق التواجد الأجنبي في ولاية حلب أثارا منها اختلال التوازن في تركيبة المجتمع الحلبي وظهور فئة أخرى ناجمة عن التزاوج بين أهل حلب والأجانب كما خلق تماديا سبب إقامتهم لخمارات وخلف تواجدهم أيضا أثارا على مستوى الثقافة والدين كإقامتهم مراكز للتنصير، ممارسة التنصير في أوساط المجتمع وإدخال الثقافة الغربية عن طريق التعليم والفكر والإرساليات الأجنبية ومحاولة التغلغل في المجتمع وطمس هويته.

أمّا في المجال الاقتصادي فقد تنوعت الأنشطة الاقتصادية للجاليات ومارسوها باستقلالية وحرية بسبب الامتيازات الممنوحة لهم من طرف الدولة العثمانية وازداد نفوذهم بسبب تركيز التجارة الخارجية في أيديهم وحصولهم على احتكارات وتسهيلات.

أمّا في مجال الثقافي فقد تمتعت الجاليات بحرية دينية واسعة في ظل الحكم العثماني، حيث سمحت الدولة العثمانية بإقامة الكنائس والمعابد وممارسة الشعائر الدينية لكل جالية وفتحت المجال أمام بناء المدارس والمعاهد لتدريس اللغات الأجنبية.

كما كان لإقامة الجاليات الأوروبية نتائج خطيرة على الدولة العثمانية بسبب تماديها في منح إمتيازات خاصة على المستوى الاقتصادي فهي حقيقة كانت تهدف إلى رفع الموارد المالية للخزينة العمومية للدولة لكنها لم تنتبه بأنّ هذه هي الطريق الممهدة نحو استغلالها ووقوعها تحت ضغوط كما لعبت الامتيازات أيضا دورا خطيرا بعد ضعف الدولة العثمانية.

البيبليوغرافيا:

1-أوزتونا يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية**، المجلد الثاني، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1990.

2- التونجي محمد، **بلاد الشام إبان العهد العثماني**، دار المعرفة، لبنان، 2004.

3-بشار أيمن، **دور الشعوب الإسلامية الغير عربية في صناعة الحضارة العربية والإسلامية**، موسوعة شرطيوة، (د. ب)، (د. س).

4-الجميعي عبد المنعم إبراهيم، **وثائق ونصوص في تاريخ الدولة العلية العثمانية**، (د.د)، (د. ب)، (د. س).

5-الحموي الياقوت، **معجم البلدان**، المجلد الثامن، مطبعة السعادة، محافظة مصر، 1906.

6-الخالدي محمد فاروق، **المؤامرة الكبرى على بلاد الشام**، دار الراوي، السعودية، 2000.

7- رائسي إدريس الناصر، **العلاقات العثمانية الأوربية**، دار الهادي، لبنان، 2007.

8-الزايدي مفيد، **تاريخ العرب الحديث**، دار المناهج، الأردن، 2004.

9-السالم لطيفة محمد، **الحكم المصري في الشام**، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990.

10- شعيب علي عبد المنعم، **التدخل الأجنبي وأزمات الحكم في تاريخ العرب الحديث المعاصر**، دار الفرابي، لبنان، 2005.

11- الشلق أحمد زكرياء، **العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى والمواجهة**، (1516-1916)، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002.

12- الشيخ رأفت، **تاريخ العرب الحديث**، دار المناهج، الأردن، 2004.

13- صابان سهيل، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000.

14- الصباغ ليلى، **الجاليات الأوربية في الشام في العهد العثماني**، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، 1989،

15- الطراونة فاطمة، **الأهمية الاجتماعية والاقتصادية للقدس العثمانية والتدخل الأوربي فيها في العصر الحديث والمعاصر**، (د. د)، (د. ب)، (د. س).

16- علوان إبراهيم، **مشكلات الشرق الأوسط والوطن العربي**، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1988.

17- علي أحمد إسماعيل، **تاريخ بلاد الشام**، دار دمشق، سوريا، 1994.

18- غربي الغالي، **دراسات حول تاريخ المشرق العربي والدولة العثمانية (1288-1961)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

19- لوتسكي فلاديمير، **تاريخ الأقطار العربية الحديثة**، دار الفارابي، لبنان، 1985م.

20- مؤنس، **الشرق الإسلامي في العصر الحديث**، مطبعة حجازي، القاهرة، 1946.

21- متولي أحمد فؤاد، **الفتح العثماني للشام ومصر**، الزهراء للإعلام العربي، قسم النشر، القاهرة، 1995.

22- المهنا محمد ، **الجاليات الأوربية في ولاية حلب**، رسالة ماجستير، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، يوسف نعيسة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة دمشق، 2009.

23- النجدي عبد الرحمان، **الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني**، مطبعة الشركة التونسية، تونس، 1988.

24- نجم زين العابدين شمس الدين، **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، دار المسيرة، الأردن، 2011.

25- ياغي إسماعيل أحمد، **العالم العربي في التاريخ الحديث**، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997.

26- يحي جلال، **العالم العربي الحديث**، دار المعارف، مصر، 1966م.

27- مؤلف مجهول، **مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا**، (د. د)، (د. ب)، (د.س).

فهرس الأماكن

الأماكن	الصفحات	الأماكن	الصفحات
أدنة	4-10	العريش	7-10
أزمير	22	عكا	9-14
الإسكندورنة	4-7-14	الفرات	4
آسيا الصغرى	4	فرنسا	27-
إنجلترا	19		16-17-20-26
أيلة	4	فلسطين	7-17-27
بغداد	4	القسطنطينية	22
البندقية	11-15-16		
تدمر	7	قطمة	4
حماة	8	مرج دابق	5
		مصر	4-5-7-8-9-22
حمص	8	نافارين	9
حلب	22-23-25-	يافا	10-17
	4-5-8-11-12-14-16-17		
سوريا	7-21-27		
الشام	13-14-15-17-18-19-21		
	4-5-6-7-8-9-10-11-22-		
	26-28		
شام شريف	13		

فهرس الأعلام

الأعلام	الصفحات
إبراهيم باشا	10-29
بنو فيتوس	19
جوزيفا دو ترميلي	19
رضوان	7
سليم الأول	5-6-7-16
عباس باشا	10
فرانسوا الأول	16
قانصوه الغوري	5-6-7
محمد الثاني	5
محمد علي	8-9-10-18
ووري	15

الفهرس

	الصفحة
تشكر	
إهداء	
مقدمة	4-1
الفصل التمهيدي: بلاد الشام تحت الحكم العثماني	12-5
• **المبحث الأول: دخول العثماني لبلاد الشام**	8-5
• **المبحث الثاني: التقسيم الإداري العثماني لبلاد الشام**	9-8
• **المبحث الثالث: بلاد الشام تحت الحكم المصري**	12-9
الفصل الأول: الحياة العامة للجاليات الأوربية الوافدة إلى مدينة حلب	24-14
• **المبحث الأول: الحياة الاجتماعية للجاليات**	16-14
• **المبحث الثاني: الحياة الإدارية للجاليات**	17-16
• **المبحث الثالث: الحياة الإقتصادية للجاليات**	22-18
• **المبحث الرابع: الحياة الدينية والثقافية للجاليات**	24-22
الفصل الثاني: أثار الجاليات الاوربية الوافدة إلى مدينة حلب	32-25
• **المبحث الأول: الآثار الاجتماعية للجاليات**	27-25
• **المبحث الثاني: الأثار الاقتصادية للجاليات**	28-27
• **المبحث الثالث: الآثار الدينية والثقافية للجاليات**	32-28
خاتمة	34-33
البيبليوغرافيـا	37-36
فهرس الأماكن	38
فهرس الأعلام	39